

طبيعة النفس البشرية في مرحلة التكليف في ضوء القرآن الكريم

Human Nature since Puberty in Light of the Holy Quran

عاطف شواشرة*، وسهاد بني عطا**

Atef Shawashreh, & Suhad Bani-Ata

*الجامعة الأردنية، كلية الآداب (محاضر غير متفرغ)،

**جامعة الزرقاء الخاصة، كلية العلوم التربوية، الأردن.

بريد الكتروني: atef_35@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠٠٩/٢/١٢)، تاريخ القبول: (٢٠٠٩/٥/٢٦)

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استجلاء مفهوم النفس في القرآن الكريم، وتبيان دلالاتها وخصائصها، وتحديد طبيعة الغرائز والشهوات فيها، كما هدفت إلى تحديد المبادئ النفسية التي تفسر طبيعة النفس البشرية في مرحلة التكليف في القرآن الكريم، من خلال منهج تحليل المحتوى، وتتبع آيات القرآن الكريم جميعها. وقد وجدت الدراسة أن القرآن الكريم ينظر للنفس البشرية بوصفها كلا متكاملًا، وأن لفظة النفس قد وردت بدلالات متعددة، كما أن النفس تمتاز بمجموعة من الخصائص الثنائية التي تتراوح بين الخير والشر، كما وجدت الدراسة أن النفس البشرية ميالة بطبيعتها إلى الشهوات التي هي جزء من التكوين البشري، وأنها تخضع للمبادئ التي تحكم طبيعتها. وختامًا خلصت الدراسة إلى القول بأهمية دراسة النفس البشرية كما يصورها خالقها سبحانه وتعالى، وأن توجه البرامج التربوية والمناهج الدراسية في المدارس والجامعات لتراعي طبيعة النفس البشرية كما أصلها القرآن الكريم.

Abstract

This paper aims at investigating human nature as it is shown in the Holy Quran: its nature, signs, and traits. It goes into the revelation concerning how an individual is characterized and referred to in various terms. Holy Quran tells us about the good and evil tendencies that an individual's behavior may show. The study concludes by pointing to the need for life education to cater for the development and growth of the individual along the lines of the Holy Script, the Holy Quran.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فخلال سنوات خلت والشباب المسلم يعيش في أجواء فكرية حملتها تيارات متعددة، وطرحتها في ساحة العمل الإسلامي، وقد لا نستطيع أن نجزم كم كانت هذه القضايا تمس واقع المسلمين أو حاجتهم الملحة، ولكننا لا ننكر أن من بينها قضايا هامة ومواضيع أساسية عالجت واقعا في حينه، أو جانبا من الواقع، وربما تجاوزت بعض القضايا واقعا مؤلما، أو أخذت حجما من حقيقتها، أو اضطربت بين أمواج الجدل أو الخلاف .

وعندما نستعرض الفكر الإسلامي الذي حملته المكتبة الإسلامية فإننا نلاحظ أن ذلك الفكر لا ينبع من مصدر واحد، فالمصادر شتى والمنابع متعددة، ونلاحظ غياب النهج والتخطيط، وتضارب الجهود وتبدد الطاقات، والتأثر بالفلسفة اليونانية، والخلط الواضح بين التاريخ الإسلامي والدين الإسلامي، وتقديس كلام بعض البشر كما لو كان جزءا من القرآن، أما علاج هذا الغياب المنهجي وهذا الخلط والتخبط في مجتمع في قاعدتين أساسيتين هما:

* **الأولى:** أنه يجب أن يكون للفكر الإسلامي دائما وأبدا مصدر واحد، ونبع واحد على مختلف العصور والأجيال وتغير الشعوب والأقوام، إنه النهج الرباني الذي أنزله الحق - سبحانه وتعالى - على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - والمتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المفسرة له، ذلك أنه المنهاج المتميز عن كل ما يمكن أن يأتي به البشر حتى تقوم الساعة، إنه المنهاج الوحيد الذي لا يحمل معه باطلا أبدا .

* **الثانية:** هي ضرورة فهم الواقع البشري فهما نابعا من خلال المنهج الرباني، وإن فهم هذا الواقع ضرورة لا غنى عنها حتى يتيسر لنا أن نحسن تطبيق منهاج الله في هذا الواقع، وحتى نحسن ممارسته والاستفادة منه.

وهذان الخطان المتلازمان ضروريان، حتى يرفع المسلمون عنهم الغفلة والغيوبة، وهما ضروريان حتى لا يتحول الفكر الإسلامي إلى شتات أو مرآة فيبقى متميزا عن كل فكر بشري بتصوراته الإيمانية الصادقة وبتطبيقه الواقعي، فيبقى ناميا ومنظورا، يعالج أحداثا ووقائع متجددة متسارعة (النحوي، ١٩٩٧).

لقد خلق الله الأرض وسخرها ميدانا للإنسان، خليفة الله في الأرض، ومن بين كل المخلوقات كرمه ورفعته، فأعطاه العقل، وجعله في أحسن تقويم، فالإنسان هو مدار الحياة، وفلك الوجود، وهذه الأرض له وطن، والحجر والشجر والحيوان ما هي إلا ليعمر ويستظل ويأكل، وكل ذلك ليعينه على تأدية رسالته في هذا الوجود تلك المتمثلة في عبادة الله وحده: قال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (الذاريات: ٥٦-٥٧).

وحتى يحقق الإنسان هذه الخلافة عليه أن يعي نفسه كما صورها خالقها وفاطرها، فيتعامل

معها كأرض تفلح لتلقي تعاليم الله فيكون أذكى غرس وأطيب محصول، فوز في الدنيا وفي الأخرى جنات علا، فيكون فهم النفس وتكوينها ومنزلتها في الوجود مع البعد عن المغالاة والتطرف أساس لفهم الحياة والانطلاق نحو إعمار الأرض. **قال تعالى:** إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰجِدِينَ (ص: ٧١-٧٢).

مشكلة الدراسة

لقد حيرت النفس الإنسانية الفلاسفة والعلماء والمربين، وبذلت محاولات عدة لفهمها بدأها بجد وعزيمة (أرسطو) قبل ٢٣٠٠ عام، ثم ما لبث أن عكف علماء النفس في القرن المنصرم على دراستها وتفحصها، ولكنها ما زالت لغزا صعب المنال، ومدارس علم النفس شاهد على ذلك، ولقد سمي هذا العلم بعلم النفس، وواقع الحال أنه علم السلوك - أو ظواهر النفس الإنسانية، قال تعالى: يَعْلمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ (الروم: ٧).

أما الدراسات العربية في مجال النفس فما زال تلهث وراء النظريات الغربية (عدس وتوق، ٢٠٠٣) وإن المتخصصين في هذا المجال لم يتعلموا وفق المنهج الإسلامي، فأصبحوا في منأى عن حقيقة الأمور، أو أن هناك فصما في عرى العلاقة بين الشباب المسلم وبين حقيقة الفكر الإسلامي، والنهج الإلهي، ولذا تأتي هذه الدراسة محاولة لتأصيل الفكر النفسي في القرآن الكريم.

وفي هذه الدراسة سوف يتناول الباحثان النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

أولاً: ما دلالات النفس في القرآن الكريم؟

ثانياً: ما خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم؟

ثالثاً: ما طبيعة الغرائز والشهوات البشرية في القرآن الكريم؟

رابعاً: ما المبادئ النفسية المشتقة من القرآن الكريم؟

النفس كما يصورها القرآن الكريم

لقد نظر القرآن الكريم إلى النفس نظرة شمولية، (عبد العال، ١٩٨٥، ص ٢٥١)، وتدل النفس في القرآن الكريم على الجسم والروح معا، وهي تدل على الإنسان ككل أو الذات الإنسانية بعنصريها المادي والمعنوي، ويدل كل منها على الإنسان ككائن حي ذي أصل واحد يتكاثر، ويكسب، ويشتهي، ويغضب، ويموت ثم يجازى على عمله، (زريق، ١٩٨٩، ص ١٤). قال

تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (المائدة: ٢٥)
وقال تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (القصص: ٣٣) **وقال تعالى:**
 ...وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ... (الأحزاب: ٥٠).

"إن النفس وماهيتها في ضوء الفكر الإسلامي تختلف بشكل كامل وجذري عن ماهيتها في ضوء الأقوال والآراء التي تمخضت عنها الدراسات الإنسانية. فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتجسد فيهما القول الفصل في هذا الموضوع الهام، فقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم مئات المرات في صيغ متعددة وهي: النفس ونفسك، ونفسه، ونفسها، ونفسي، والنفوس، ونفوسكم، والأنفس، وأنفسكم وأنفسنا، وأنفسهن، والمتأمل في جميع الآيات القرآنية الحكيمة يجد أنها تخاطب الإنسان وليس جزءا منه كما اعتقد بعضهم". (الحياري، ١٩٩٣، ص ٤٠). **قال تعالى:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (الحشر: ١٨) **وقال تعالى:** لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (البقرة: ٢٨٦).

تعريف النفس

"النفس في كلام العرب يجري على ضربين: إحداهما قولك خرجت نفس فلان، أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في روعه، والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس" (ابن منظور، المجلد ١٤، ١٩٦٨، ص ٢٣٣).

والنفس يعبر بها عن الإنسان جميعه كقولهم عندي ثلاثة أنفس، وكقوله تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ (الزمر: ٥٦)، وقال ابن سيده: **وقوله تعالى:** تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ (المائدة: ١١٦).

روي عن ابن عباس أنه قال: كل إنسان نفسان: إحداهما نفس العقل الذي يكون به التمييز، والأخرى نفس الروح الذي به الحياة، وقال أبو بكر الأنباري: من اللغويين من سوى النفس

والروح وقال هما شيء واحد (ابن منظور، المجلد ١٤، ١٩٦٨، ص ٢٣٤).

وفي قطر المحيط النفس: الروح، يقال خرجت نفسه أي روحه، ويراد بالنفس الإنسان بجملته (البستاني: ١٩٦٨، ص ٢٢١).

ويتضح مما سبق أن هناك خلطاً في معنى النفس الإنسانية بين النفس والروح، ولكن الحقيقة أن الآيات القرآنية قد حددت معنى النفس الإنسانية بالإنسان ذاته كلاً متكاملاً في مواطن معينة وأرادت بها النفس بالمعنى الاصطلاحي في مواطن أخرى، وبشكل واضح وجلي: **قال تعالى:**

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا

(الشمس: ٧-١٠) **وقال تعالى:** وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (السجدة: ١٣) **وقال تعالى:** إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا

لِنُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (طه: ١٥). **وقال تعالى:** فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ

أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (الكهف: ٧٤). **وقال تعالى:** مَا كَانَ لِأَهْلِ

الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ

(التوبة: ١٢٠).

ويتضح من التأمل في الآيات القرآنية الكريمة السابقة أن النفس تدل على الذات الإنسانية ككل متكامل، ومن الخطأ النظر إلى النفس على أنها الروح فقط أو المشاعر والوجدان بمعزل عن الجسد.

دلالات النفس في القرآن الكريم

ورد لفظ النفس في القرآن الكريم في (٣٦٧) موضعاً، ويدل كل منها على الإنسان بوصفه كائناً حياً ذا أصل واحد، يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ثم يجازى على عمله، وقد استعملت بدلالات مختلفة وهي: (زريق، ١٩٨٩، ص ١٤-١٥).

١. **الدلالة على الإنسان: قال تعالى:** وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا (البقرة: ٤٨).

وقال تعالى: لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا (البقرة: ٢٣٣). **وقال تعالى:** أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا (المائدة: ٣٢). **وقال تعالى:** قُوا

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا (التحریم: ٦). وقال تعالى: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ (الزخرف: ٧١).

٢. الدلالة على أشخاص معينين: ونذكر من هؤلاء الأشخاص الذين عناهم القرآن الكريم:

أ. محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ نُفْسَكُ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ (الكهف: ٦).

ب. إسرائيل، هو اسم لقب به يعقوب، وبنو إسرائيل هم العبرانيون، قال تعالى: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ (آل عمران: ٩٣).

ج. يوسف عليه السلام: قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي (يوسف: ٢٦).

د. عيسى عليه السلام: قال تعالى: تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ (المائدة: ١١٦).

٣. الدلالة على الذات الإلهية: صور الله تعالى اصطناع الخلق لنفسه فقال تعالى: وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي (طه: ٤١)، وفي مناسبة أخرى، يعطينا الحق سبحانه وتعالى صورة دقيقة عن نفسه، فيها القوة والرافة، قال تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: ٣٠)، وقال تعالى: تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ (المائدة: ١١٦)، وقال تعالى: قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (الأنعام: ١٢).

٤. الإشارة إلى ضمير الإنسان وما يبطن من أسرار: فقد أكد الله تعالى أنه خالق الإنسان، وهو وحده الذي يعلم خفيات ضميره ووساوس نفسه قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ نُوسُوسٌ بِهِ نَفْسُهُ (ق: ١٦)، وما دام الله خالقنا فهو أعلم بطبيعة نفوسنا، ودواخل أعمالنا

وجواهر ذواتنا، قال تعالى: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ (الإسراء: ٢٥)، وإذا أردنا أن نغيّر أحوالنا ونبدل أوضاعنا الى ما هو أفضل، فلا بد لنا أن نغيّر جوهرنا من الداخل قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (الرعد: ١١).

٥. الإشارة الى أصل البشر: فالنفس الواحدة هي أصل البشرية جمعاء ومن النفس الواحدة خلق الله كافة النفوس الإنسانية، قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (الأعراف: ١٨٩) وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتقي رب العزة الذي خلقنا من نفس واحدة، قال تعالى: يَتَّيِبُهَا لِنَاسٍ أَتَقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (النساء: ١).

خصائص النفس الإنسانية

النفس مصدر أساسي للسلوك الإنساني، وهي – في ضوء طاقتها – المسؤولة عن دفعه وتحريكه، فالسلوك الإنساني تتحكم فيه الملكات العقلية، التفكير والإرادة والتعلم والانتباه والتذكر والتحليل، وكذا الانفعالات الوجدانية كالإحساس باللذة أو الألم أو الفرح أو الحزن أو الخوف أو الغضب، وما يرغب به أو ينفّر منه.

والقرآن الكريم يشير إلى أن النفس مستودع الكثير من الدوافع السلوكية والإنسان مسئول عن جميع سلوكياته، قال تعالى: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا (النحل: ١١١)، أي بما كسبت من أعمال إذ هي المسؤولة، فهي لا غيرها التي تجادل عما عملت، قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (المدثر: ٣٨)، فالنفس تكسب عملها بمحض حريتها واختيارها، وإرادتها، إذ إنها رهينة عملها الذي سيحاسبها به الله عز وجل.

والم تأمل في الآيات القرآنية الكريمة يجد أن النفس الإنسانية قد اتصفت بالخصائص التالية:

الخاصية الأولى: النفس مفطورة على معرفة الله

وهي ما تسمى بالشعور الديني الفطري في الإنسان، قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ
بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣).

الخاصية الثانية: التقلب والتطرف والخروج عن حد الاعتدال

لقد أوضح الله تعالى أن الإنسان شديد الانفعال، متطرف العواطف، ما لم يرجع إلى نهج الله سبحانه، لأن الإيمان بالله، والعمل على نهجه، هو السبيل الذي يعيد الإنسان إلى حالة من التوازن، والاعتدال، يصبح سلوكه معها بعيدا عن التعصب والتطرف.

إن الإنسان بحكم طبيعته البشرية إذا أحب شيئا، أقبل عليه بكليته، وإذا كره شيئا، ابتعد عنه بكليته، ولذا يريد الله أن نلزم جانب الاعتدال في حبنا، وفي بغضنا، وفي مأكنا وفي مشربنا وفي أي عمل نقوم به. (عدس، ١٩٨٥، ص ٩٥). قال تعالى: فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ (النساء: ١٢٩)، وأن الانسياق وراء العواطف لا يجدي نفعاً، ولا يحل لنا مشكلة. قال تعالى: مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (الحج: ١٥)، وكذلك الحال عندما يصيبنا الفرح والسرور فقد يخرج الحال بنا عن حد الاعتدال إلى حال الإعجاب بالنفس، والفخار بها والتباهي على الآخرين، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (لقمان: ١٨).

وقد طلب الله سبحانه وتعالى منا أن نكظم غيظنا ونسيطر عليه وننتساح مع من أساء إلينا ونعفو عنه، قال تعالى: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آل عمران: ١٣٤).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من الصبر والقدرة على الاحتمال العلاج الواقي لنا في مثل هذه الحالات، قال تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ (المعارج: ١٩-٢٢).

الخاصية الثالثة: في النفس معرفة الخير والشر

قال تعالى: **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (الشمس: ٧ - ١٠)**، فالإنسان ألهم فطرة معرفة الخير، كما ألهم معرفة الشر، قال تعالى: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (البلد: ١٠)**.

الخاصية الرابعة: النفس شديدة الحرص على الخير وجزوعة من الشر (الزین، ١٩٩١، ص ١٤١):

فالإنسان يطلب الخير دائما، فإن أعطاه الله بطر وتعالى على الآخرين، حتى إذا مسه ضر قليل ضعف وتخاذل، ثم لا يلبث بعد كشف الضر أن يعود إلى استعلائه وغروره حتى يصل به الحال إلى التوهم في هذه الدنيا، قال تعالى: **لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ قَنُوطٌ (فصلت: ٤٩)**.

الخاصية الخامسة: العجلة والتسرع

إن العجلة والتسرع دون تمحيص للأمر هو طبع متأصل في النفس الإنسانية، قال تعالى: **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ (الأنبياء: ٣٧)**، إن الإنسان يريد من الله أن يهبه الخير، وبأسرع ما يمكن ويبدو عليه القلق إزاء أي تأخير في ذلك، قال تعالى: **لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ قَنُوطٌ (فصلت: ٤٩)**، وقال تعالى: **وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ (يونس: ١١)**، وقال تعالى: **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (الإسراء: ١١)**، وقال تعالى: **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (ص: ١٦)**، وقال تعالى: **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَبًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ بَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (العنكبوت: ٥٣ - ٥٤)**.

الخاصية السادسة: التردد والضعف

قال تعالى: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ (النحل: ٥٣). **وقال تعالى:**
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْشَوْا عَنكُمْ^{٤٤} وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (النساء: ٢٨).

فالضعف خاصية من خصائص النفس الإنسانية، فالإنسان لا يكاد يستقر على شيء، ولا يثبت على قاعدة بل يستجيب للمؤثرات المتعارضة، ويتلون بألوان مختلفة، ويبدو بوجه متعددة، **قال تعالى:** وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ (يونس: ١٢)، **وقال تعالى:** وَلَئِنْ أَدْقَنْتَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (هود: ١٠).

الخاصية السابعة: التمرد والمكابرة والعناد

إن الإنسان ليعتامي عن الحق، ويتجاهل الأدلة الدامغة على وجوده تعالى ولزوم طاعته واجتناب نواهيه، ومع أن الكافر يصل في قرارة نفسه إلى صدق الحق إلا أنه يأبى أن يتراجع عن عناده وخصومه لهذه الدعوة. (عدس، ص ١٠٨) **قال تعالى:** وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا

قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا خُنُّنَا أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا خُنُّنَا بِمُعْذِيبِنَا (سبأ: ٣٤-٣٥)، **قال تعالى:** أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (يس: ٧٧ - ٨٠)، **وقال تعالى:** وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَهُادُ (البقرة: ٢٠٦)، **وقال تعالى:** فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (النمل: ١٣). **وقال تعالى:** وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (النمل: ١٤).

الخاصية الثامنة: الجحود

قال تعالى: فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۗ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر: ٤٩)، وقال تعالى: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ (سبا: ١٣)، ويقول تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (العاديات: ٦ - ٨).

أي أن الإنسان جحود لنعم الله، فلا يعترف بفضله عليه، ولا يشكره حق شكره، قال تعالى: وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (السجدة: ٩).

الخاصية التاسعة: شدة الحرص والتكالب على جمع المال

لقد قرر سبحانه وتعالى حب النفس الإنسانية للمال والحرص على جمعه في قوله تعالى: وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿٦١﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (الفجر: ١٩ - ٢٠)، وقال تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦١﴾ أَنْ رَّأَاهُ اسْتَغْنَىٰ (العلق: ٦ - ٧).

إن الإنسان لا يدرك كنه حكمته تعالى من بسط الرزق له أو الضيق به عليه، وإنما هو دوما ملهوف وفي عجلة من أمره ليحصل على أكبر قدر مستطاع منه، قال تعالى: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (العنكبوت: ٦٢)، وقال تعالى: أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الروم: ٣٧)، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (المنافقون: ٩).

الخاصية العاشرة: أحكامها عاطفية تبعا لانفعالاتها

فالنفس الإنسانية فيها مجموعة من العواطف تدل عليها النصوص القرآنية فمثلا عاطفة الإشفاق والألم المعنوي، قال تعالى: لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ ۖ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (الشعراء: ٢)، وقال

تعالى: فَלَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَيَّ ءَأَثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (الكهف: ٦).

عاطفة الحزن: قال تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (فاطر: ٨).

عاطفة الخوف: قال تعالى: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (طه: ٦٧).

عاطفة الحب والميل النفسي: قال تعالى: إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ (النجم: ٢٣).

الخاصية الحادية عشر: الشهوة والتذوق والاستمتاع (زين العابدين، ١٩٩٦، ص ١٠١).

قال تعالى: وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ (يوسف: ٣٢)، ففي النفس ميل جنسي كما أن فيها إباء وتساميا، وفيها التذوق والاستمتاع بالطعام والشراب والجمال الطبيعي والجمال المعنوي، **قال تعالى:** وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (فصلت: ٣١) وان (ما تدعون) تشمل الأخيلة والتصورات والأمني الإنسانية، ومع أن هذين النصين يخصان أهل الجنة إلا أن فيهما إشارة واضحة إلى أن النفس الإنسانية تتذوق وتشتهي وتستمتع ولو لم تكن كذلك لما استشعرت بنعيمها المنشود في الجنة.

الخاصية الثانية عشر: الخوف والرجاء

حيث يولد الإنسان وفيه هذان الاستعدادان متجاورين، يخاف الظلمة والوحدة ويخاف السقوط، ويخاف المناظر التي لم يألّفها والأشخاص الذين لم يألّفهم، وينمو الإنسان وينمو معه هذان الخطان المتقابلان، وتتنوع المخاوف، ويتنوع الرجاء، ولكن هذين الخطين هما في تقابلهما وازدواجهما يحددان له مشاعر الحياة واتجاهاتها.

إن الإسلام في كتابه القرآن الكريم وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقاوم هذه الرغبة الانفعالية، وإنما ينظمها ويقوم مسارها ويحدد لها الاتجاه الصحيح في مثل قوله **تعالى:** وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتْ قَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (النساء: ١٠٠)

الخاصية الثالثة عشره: الشح والبخل

الشح والبخل من صفات الإنسان التي وردت في القرآن الكريم وهي صفة تقوى وتشدت كلما ضعف إيمان الإنسان بخالقه تعالى، وضعف اعتماده عليه في طلب رزقه، قال تعالى: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الحشر: ٩) وقال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ ۖ خُنُّنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ (الإسراء: ٣١)، وقال تعالى: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ حَشِيَّةَ الْإِنْفَاقِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (الإسراء: ١٠٠)، وقال تعالى: الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (النساء: ٣٧).

الغرائز النفسية في القرآن الكريم

الغرائز شهوات فطرية ترغب فيها النفس وتميل إليها، وقد وهب الله سبحانه هذه الغرائز للإنسان وجعلها جزءاً من تكوينه ليؤدي دوره في الحياة ويسعى في صلاحه وتحقيق ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر ويحفظ بقاء الجنس البشري، وقد عبّر الله سبحانه وتعالى عن هذا الميل الفطري في الإنسان لكل ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر، قال تعالى على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-: وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَثْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ... (الأعراف: ١٨٨)، وقال تعالى: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤٤﴾ قُلْ أُوْتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: ١٤-١٥).

وهكذا يظهر خطر الانحراف بسبب الشهوات، وتحويلها إلى مرض يفتك بالإنسان ويصير الإنسان إلى حيوان كاسر، شغله الشاغل أن يرضي أهواءه ولو على حساب الآخرين فيؤذيهم ويظلمهم (كرزون، ١٩٩٧)، والأصل الذي يؤدي إلى هذا الانحراف والطغيان اتباع الهوى وتقديم حب الدنيا على طاعة الله ورسوله، قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١٤٤﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٤٥﴾

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (النازعات: ٣٧-٤١).

أولاً: شهواتنا حب الذات وحب الجاه

من أقوى الشهوات وأكثرها عمقا في النفس حب الإنسان لذاته وحرصه على جلب الخير لها ودفع الضرر عنها وتحقيق ما يمكن من الكمال لها، ومن هنا تبرز أهمية شهوة حب النفس وخطر انحرافها وتحولها عن منهج الإسلام في تزكية الأنفس، وتماديها حتى تبحث الكمال المزيف الموهوم وهي في ذلك تظن أن هذا هو الذي يحقق سعادتها، فتصاب بمجموعه من الأمراض مثل الرياء والكبر والتعالي على الناس، والإعجاب بالنفس واستجلاب المدح من الناس والأناية والشح والحسد وسرعة الغضب، والنماذج القرآنية التالية خير دليل على ذلك (كرزون، ١٩٩٧). **قال تعالى:** وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ... (البينة: ٥). **وقال تعالى:**

وَلَا تُصَوِّرْ خَدْلَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

(لقمان: ١٨). **وقال تعالى:** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

﴿٣٦﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (النساء: ٤٩-٥٠). **وقال تعالى:** فَلَا

تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (النجم: ٣٢). **وقال تعالى:** لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا

وَيُحِبُّونَ أَنْ تَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آل عمران:

١٨٨). **وقال تعالى:** أَمْ تَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ... (النساء: ٥٤). **وقال**

تعالى: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ... (آل عمران: ١٣٤).

ثانياً: شهوة حب المال

إن حب المال والتملك غريزة فطرية عند الإنسان، وهو مرتبط بشهوة حب النفس، لأن المال يتوصل به إلى أغراض النفس والحصول على مشتوياتها ولذلك تعلق به كثيراً، وكلما ازدادت شهوة حب النفس ازدادت شهوة حب المال، **قال تعالى:** وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا

(الفجر: ٢٠)، **وقال تعالى:** وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (العديات: ٨).

وقد يكون حب المال فضيلة إذا جمع من حلال، وأدى حق الله فيه، وانفق في وجوه الخير

والطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" (رواه احمد والطبراني)، ولكن شهوة حب المال فتنة قل من يصبر عليها ويسلم من آفاتها، قال تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ (التغابن: ١٥-١٦).

والواقع أن شهوة حب المال منزلق خطير، وكثيرا ما تقود صاحبها إلى حد البغي في الأرض والاستغراق في الطمع والجشع، والتعدي على الآخرين، قال تعالى: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُتْرَلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (الشورى: ٢٧).

وقال تعالى: يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا فَأَدْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩). وقال تعالى: فَأَمَّا مَن آعطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٢٧٩﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٢٨٠﴾ فَسَيُسِّرُهُ لَيْسَرَىٰ ﴿٢٨١﴾ وَأَمَّا مَن مَّخَلَ وَاسْتَعْتَىٰ ﴿٢٨٢﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٢٨٣﴾ فَسَيُسِّرُهُ لِّلْعَسْرَىٰ ﴿٢٨٤﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (الليل: ١-٥).

ثالثا: شهوة البطن والطعام

شهوة البطن لا يستغني عنها بشر، لأن حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب أساسية لا بد منها وبها قوام حياته، ولكنها كثيرا ما تسيطر على صاحبها فيتحول أسيرا لهوى نفسه، ووساوس شيطانه، ولذلك حذرنا رب العزة من ذلك . (كرزون، ١٩٩٧). قال تعالى: يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (البقرة: ١٧٢).

كما أرشد الله سبحانه وتعالى إلى الاعتدال في الطعام والشراب لنلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها. قال تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (الأعراف: ٣١).

وطغيان شهوة البطن لا يعني كثرة الأكل فحسب، بل هو شره في النفس وماديتها وتحول

الطعام من وسيله إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التي تسيرها شهواتها، قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوَىٰ لَهُمْ (محمد: ١٢).

رابعاً: شهوة الفرج ودافع الجنس

الشهوة الجنسية غريزة جبلت عليها النفس البشرية، فقد جعل الله سبحانه هذا الميل الغريزي في كل من الرجل والمرأة لتحقيق هدف سام، وهو بقاء النوع الإنساني، ولولا هذا الدافع الجنسي لما كان التناسل والتكاثر، وقد سمي الله سبحانه الانحراف في هذه الشهوة مرضاً . (كرزون، ١٩٩٧). قال تعالى: يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۗ إِنِ اتَّقَيْتَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ (الأحزاب: ٣٢-٣٣). وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (يوسف: ٢٣).

أما نتائج طغيان شهوة الفرج فهي قسوة القلب وضعف الإيمان، وكثرة الوقوع في المعاصي، وذهاب الحياء، ولذلك أمر الإسلام بغض البصر وستر العورة. قال تعالى: قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥٩﴾ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ (النور: ٣٠-٣١). كما حرم الإسلام بتحريم الاختلاط وأمر بحجاب النساء، قال تعالى: يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ۗ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ ۗ أَلَّا يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (الأحزاب: ٥٩). وقال تعالى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۗ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ (الأحزاب: ٥٣).

الصحة النفسية والعلاج النفسي في القرآن الكريم

عندما شاء الله - عز وجل - أن يجعل الإنسان خليفة له على هذه الأرض، سأل الملائكة عن الحكمة من هذه المشيئة الإلهية، قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّيْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ** (البقرة: ٣٠).

فالملائكة كانوا يرون أن مجتمع الإنسانية سيكون مجتمعاً يتخبط في الفساد والقتل والدماء، ولكن الله عز وجل كان يعلم غير علمهم.

كان يعلم أنه سيكون هناك من الناس من يؤمن بالله عز وجل إليها ورباً، وهناك من الناس من سيستمر في عمل الخير في كل زمان ومكان وهؤلاء هم الموعودون بالخلافة، قال تعالى: **وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْاَرْضِ** (النور: ٥٥).

والمهمة الموكولة لهذا الإنسان هي مهمة الأعمار والبناء المادي والمعنوي والتي تتطلب الإنسان السوي والسليم جسدياً ونفسياً.

ومع أن الصحة النفسية عند علماء النفس تعني حالة من التوازن والتوافق بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والمجتمع، وهذا التوافق يجعل الإنسان يعيش حالة من الشعور بالطمأنينة والرضا والارتياح، إلا أن علماء النفس المسلمين يرون أن الصحة النفسية هي حسن الخلق مع الله، ومع الذات، ومع الناس " (عيسى، ١٩٩٧، ص ١٤٦ - ١٤٨).

وحسن الخلق لا بد له من إيمان حقيقي وقوي، يكون هو الدافع للتعامل بصدق وإخلاص مع الله - عز وجل - ومع النفس ومع المجتمع، وبالتالي الابتعاد عن القلق والخوف والوساوس على اختلاف أشكالها، قال تعالى: **وَأَبْتَعْ فِيمَا ءَاتٰتَكَ اللّٰهُ الدّٰرَ الْاٰخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** (القصص: ٧٧).

أما الإنسان السوي في نظر الإسلام فهو الشخص المؤمن الذي تبرز فيه أفضل السمات والصفات الأخلاقية، والقادر على الحب والبذل والعطاء لنفسه ولمن حوله من الناس، قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوْا اللّٰهَ وَاليَوْمَ الْاٰخِرَ وَذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيْرًا** (الأحزاب: ٢١).

العلاج النفسي في القرآن الكريم

إن إنسان هذا العصر مادي بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى فهو يحاول جهده أن يجمع المال، ويدخره خوفاً من الفقر، ويحاول أن يخترع السلاح الفتاك ويكدّسه خوفاً على نفسه من الغير، ويحاول أن يستمتع بشبابه، فيلهو ويعبت ما شاء له اللهو والعبث.

لقد أصبح الهم والقلق في هذا العصر سمة غالبية عليه، فسلب نعمة الاستقرار من الكثيرين فلا يعمون بطعم الأمن، ولذة الاطمئنان، وياتوا يجدون أنفسهم مهتدين في كل لحظة من حياتهم من خطر يخشونه على أنفسهم وأهليهم (عدس، ص ٧١).

والدين هو عنصر هام في معالجة النفس مما قد تصاب به من اضطرابات وأمراض نفسية، لأن الدين هو الطريق إلى العقل كما هو الطريق إلى القلب، كما أن الدين أعظم معين للإنسان للتغلب على التوترات والصراعات التي يتعرض لها (طبارة، ص ٢٢).

يعد الإيمان بالله -عز وجل- انجح علاج نفسي يقي الإنسان من أمراض هذا العصر المتعددة، والمتمثلة في أكثر مظاهرها (الخوف والقلق)، والإيمان يبعد الإنسان عن كل هذا، فهو يعلم أن مصيره بيد الله، وأن مصائر الأمور جميعها هي أيضا بيده سبحانه، قال تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (التوبة: ٥١).

أولاً: العلاج النفسي للأخطاء السلوكية

مساعدة الفرد على الاعتراف بخطاياهم

يقر الإسلام بنظرية الاعتراف، ولكن هذا الاعتراف يكون بين الإنسان وربّه، فالإنسان في حال اقترافه ذنباً وشعوره بفداحة خطيئته وتأنيب ضميره يستطيع أن ينفس عن مشاعره بالالتجاء إلى ربه بالصلاة التي تكفر الخطايا، والاعتراف بذنبه وطلب المغفرة من الله.

وقد صورّ لنا القرآن الكريم بعض هذه الاعترافات حتى يأخذ بها المؤمنون لتكون لهم شفاء من الشعور بالخطيئة وحافزا لهم لتغيير مجرى حياتهم نحو الأفضل، فهذا آدم وحواء يقولان بعد عصيانهما: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الأعراف: ٤٣)، ويذكر القرآن قول نبي الله موسى معترفاً بذنبه: قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغْفَرَهُ (القصص: ٢٣).

ويدعو الله المؤمنين إلى طلب الغفران منه على ما اقترفوا من ذنوب، مبيّنا لهم أن الله غفور رحيم. قال تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا

(النساء: ١١٠) وقال تعالى: **وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (المزمل: ٢٠).

فطلب الإنسان الغفران من الله على ذنوب اقترفها هو اعتراف صريح بالذنوب أمامه، وإذا تبين المذنب بأن الله سيغفر له، وأنه غفور رحيم، فلا ريب أن ذلك سينزع عنه الشعور بالإنثم ويدخل إلى قلبه الطمأنينة التي هي المدخل إلى الصحة النفسية (طيارة، ص ٢٥).

التوبة والتكفير

فالتوبة أسلوب من أساليب التكفير، كما أنها أسلوب من أساليب تطهير النفس من الآثام والذنوب، والتوبة هي المدخل إلى المغفرة، فهي التي تسمح بإيجاد مصرف للمشاعر النائرة التي أوجدها الفعل الذي يتنافى مع القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية، والندم الذي تولده التوبة له أثر عظيم في تغيير سلوك الإنسان من سييء إلى حسن، وذلك أنه يظهر خطورة الخطيئة لدى فاعلها، ويعرض ما يترتب عليها من مغبات وآثام، (طيارة، ص ٢٥)، قال تعالى: **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (النور: ٣١).

وجعل الله سبحانه وتعالى التكفير عن الخطايا مرهونا بالتوبة، قال تعالى: **يَتَأْتِيَ الَّذِينَ**
ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (التحریم: ٨)، وقال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** (البقرة: ٢٢٢).

والإسلام يقرن التوبة بالعمل الصالح لنيل غفران الله فيجعل عمل الخير تكفيرا للإنثم، قال
تعالى: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ (طه: ٨٢)**، وقال تعالى: **إِلَّا مَن**
تَابَ وَءَامَرَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ (الفرقان: ٧٠).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصلاة كفارة للخطايا، وبابا إلى مغفرة الله، لذا كان للمسلم في
كل صلاة توبة، قال تعالى: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ**
ذَٰلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ (هود: ١١٤).

ثانياً: العلاج النفسي للاضطرابات النفسية

الخوف والقلق

الخوف شعور إنساني طبيعي، وغريزة بارزة عند التعرض لعامل مخيف، فهو الحافز للإنسان على اتخاذ احتياطاته ووسائل الدفاع المناسبة في وجه هذا القادم، والخوف يمكن أن يكون إيجابياً ويمكن أن يكون سلبياً، فالخوف الإيجابي هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل لمرضاة الله رجاء في ثوابه ومخافة عقابه، قال تعالى: **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (الرحمن: ٤٦).**

فهذا الخوف هو الباعث على التقوى والعمل لإعمار هذه الأرض. أما الخوف السلبي فهو الذي يشوش الفكر والسلوك، ويشعر الإنسان بالعجز والاضطرابات وهذا ما يولد عنده حالة من التردد والشك في كل ما حوله، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **"...ودع ما يريبك الى ما لا يريبك"** (رواه الترمذي).

والإسلام يجعل من الإيمان وذكر الله تعالى، والاتصال به أساس الاطمئنان والانشراح، قال تعالى: **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد: ٢٨)**، وبعد الإيمان يأتي دور العبادات والمواظبة عليها، وعلى رأسها الصلاة فهي عمود الدين، والأساس في قيام الدين والوصول إلى حقيقة الإيمان ونبذ الخوف. قال تعالى: **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٣ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (المعارج: ١٩-٢٣)**، فالصلاة تعلم الإنسان كيف يصل إلى حالة الهدوء النفسي ومن ثم تخف التوترات العصبية وحالات القلق.

وفي الصوم ابتعاد عن الشهوات، وتعلم الصبر الذي له الأثر الكبير في التغلب على القلق والتوتر، قال تعالى: **وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ ۗ وَنَبِّئِرِ الصَّابِرِينَ (البقرة: ١٥٥).**

الرهاب

هو الخوف من أمور معينة، غير مخيفة في الأحوال العادية، والدين الإسلامي يحرص على أن ينشأ الإنسان تنشئة قوية، فيكون جريئاً قادراً على مواجهة المخاطر بدلاً من الخوف والهروب منها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **"المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"** (رواه مسلم)،

ويقول الإمام علي رضي الله عنه: "إذا هبت شينا فقع فيه فإن الوقوع فيه خير من توقيه".

فيتعلم الإنسان الجرأة في الحق، وعدم الخوف مما لا يخيف، ويضع الخوف في نصابه الحقيقي، ولا يبالغ فيه، وينشأ المؤمن وهو يعلم أن الله عز وجل هو الأحق بالخشية وليس الناس، قال تعالى: فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ (المائدة: ٤٤).

وعندما يكون الإنسان مؤمنا بقضاء الله وقدره ويسير ويخوض هذه الحياة تحت شعار قوله تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (التوبة: ٥١)، وعندما يتأمل الإنسان الآيات القرآنية فلا مكان في حياته لرهاب الموت، قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (العنكبوت: ٥٧).

الوسواس

وهو التصرف الذي يجد الإنسان نفسه مجبرا عليه، نتيجة لأفكار معينه تعاوده باستمرار، وهو لا يستطيع منها فكاكا، كغسل اليدين، وعد الأشياء، والتأكد من إغلاق الباب.

والوسواس تشويش ينفثه في روعنا الشيطان، لذلك أمرنا الله أن نتعوذ من الشيطان الرجيم، قال تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (الناس: ١-٦).

لذلك لا بد من مقاومة كل ما يؤدي إلى الوسوسة من ظن أو ريبه، أو تشاؤم.

الاكتئاب

الاكتئاب هو حالة من الأمراض النفسية التي تتجلى بالحزن وتصل إلى درجة اليأس الشديد، وربما أدت في بعض الأحيان إلى الانتحار، وقد ركز القرآن الكريم على علاج هذه الحالة، قال تعالى: يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (البقرة: ١٥٣)، وقال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (الحديد: ٢٢-٢٣) ويعلم المؤمن ما وراء هذا الصبر من الثواب والمنزلة الرفيعة عند الله فينشرح صدره لهذا، قال تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقَصَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَشَرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

وعندما يعلم المؤمن قصص الأنبياء والصالحين والذي أصابهم من البلاء تهون عليه مصائبه، قال تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (الأنبياء: ٨٧-٨٨).

والمؤمن مهما عظمت مصيبته فلن يقدم على الانتحار، قال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (النساء: ٢٩).

من المبادئ النفسية في القرآن الكريم

بعد استعراض الآيات الكريمة في كتاب الحق سبحانه وتعالى تم التوصل إلى المبادئ النفسية التالية التي تفسر طبيعة النفس البشرية:

١. هناك علاقة بين الحالة النفسية، وتعبيرات الشكل الخارجي للجسد: ففي القرآن الكريم تعبيرات وملامح وإيماءات جسدية، تعبر عن الحالات الانفعالية للإنسان، من فرح وغضب وسرور واندھاش وتعجب، قال تعالى: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْغَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (البقرة: ١٩)، وقال تعالى: هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ غِيْبُوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۗ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آل عمران: ١١٩)، وقال تعالى: وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (الكهف: ٤٢)، وقال تعالى: فَأَقْبَلَتْ أُمَّرَأْتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (الذاريات: ٢٩).

٢. علاج النفس من الآثام والأمراض يكون بتعويدها على الصبر والصلاة، قال تعالى:

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (البقرة: ٤٥)، وقال تعالى:
وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة: ١٥٥-
١٥٦).

٣. إن استغراق النفس الإنسانية في الظلم والشرك يجعلها تكره الموت وتحب الحياة الأبدية
الدينيوية، قال تعالى: وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ
أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ. (البقرة: ٩٦).

٤. يجب عقاب النفس الإنسانية الباغية حسب الذنب الذي اقترفته وعلى مرأى من الناس، ففي
ذلك علاج للنفس الإنسانية المريضة، قال تعالى: يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ عَلَيْهِمُ الْقِصَاصُ
فِي الْقَتْلِ ۗ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَثَى بِالْأَثَى ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَلِكَ خَفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ١٧٨-
١٧٩).

٥. يجب تهذيب سلوك الفرد مع الجماعة، (علم نفس اجتماعي)، ومن ذلك ضرورة الاستئذان
قبل الدخول، وعدم الدخول من أبواب غير شرعية، قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۗ قُلْ
هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (البقرة: ١٨٩).

٦. عدم الاعتداء على الآخرين، والزام النفس الإنسانية بقواعد الحق في التعامل الإنساني حتى
مع الأعداء، قال تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ. (البقرة: ١٩٠).

٧. النفس الإنسانية تميل إلى الإنجاب وحب الأطفال، وتتضح هذه الرغبة على لسان نبي الله زكريا وهو النبي المرسل، قال تعالى: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (آل عمران: ٣٨).

٨. القدوة والنموذج هما خير معلم في علم النفس الاجتماعي، وإذا كان القدوة قائدا فيجب أن يتمتع بصفات اللين والرحمة والابتعاد عن الغلظة والفظاظة، وقد سبق القرآن الكريم علماء نفس التعلم والتعليم وعلماء الاجتماع عندما قرر هذه الحقيقة، قال تعالى: فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران: ١٥٩).

٩. النفس الإنسانية خلقت ضعيفة، وقد تكون هذه واحدة من خصائصها، قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (النساء: ٢٨).

١٠. في علم نفس الفروق، هناك فوارق تعود للجنس، نظرا لاختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة، قال تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... (النساء: ٣٤).

١١. من أساليب التعامل وعلاج نفسية المرأة الموعظة والهجر والضرب، وكل أسلوب في مرحلة معينة وضمن شروط معينة، قال تعالى: "... وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (النساء: ٣٤).

١٢. تحريم الاعتداء على النفس الإنسانية إلا بالحق، وبناء عليه ضرورة أخذ الحيطة والحذر اللذين بغياهما قد تقتل النفس، قال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا.. (النساء: ٩٢)،

وقال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (الإسراء: ٣٣).

١٣. عدم قدرة النفس الإنسانية على التحكم بعواطفها تجاه تعدد الزوجات، وعدم استطاعتها على إقامة العدل بينهم، قال تعالى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (النساء: ١٢٩).

١٤. التعلم بالملاحظة أو تقليد النموذج، إحدى طرق تعليم النفس الإنسانية، قال تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِي أَيُّوعَانَ أَنَّهُ كَانَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (المائدة: ٣١).

١٥. من وسائل علاج بعض الأمراض الاجتماعية والنفسية، الحدود التي أمر الله بتطبيقها، قال تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة: ٣٨).

١٦. عدم قدرة النفس البشرية على الصبر على شيء غير منطقي أو غير خير أو أي أمر مستهجن لا تعرف الحكمة منه إذا أتى من بشر، وهذا ما حصل مع سيدنا موسى وهو نبي الله المختار، ولهذا يجب إحاطة المتعلمين والطلبة والبشر عموماً بفلسفة تعلم الأشياء، والحكمة من ذلك التعلم، قال تعالى: قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (الكهف: ٦٧-٦٨).

١٧. من طبيعة النفس الإنسانية أنها ضعيفة عند التعرض للابتلاء، وتطلب النجاة والرحمة من الله سرا وعلائية، ثم بعد زوال الخطر تعود للشرك والتجبر والكفر، قال تعالى: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْنَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ (الأنعام: ٦٣-٦٤)، وقال

تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ ۗ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (يونس: ١٢).

١٨. من طبيعة النفس الإنسانية الحاجة إلى وجود خالق مسيطر على هذا الكون، وبحثه المستمر عن هذا الخالق عن طريق التأمل في ملكوت الله، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم: وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿١١٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١١٩﴾ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الأنعام: ٧٥-٧٩).

١٩. إن أكثر النفوس البشرية ضالة عن سبيل الله وان إطاعتها تقود إلى الضلال، قال تعالى: وَإِن تَطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (الأنعام: ١١٦).

٢٠. من طبيعة النفس الإنسانية الجحود وقلة الشكر لله، قال تعالى: وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا ۗ مَا تَشْكُرُونَ (الأعراف: ١٠)، وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا ۗ مَا تَشْكُرُونَ (المؤمنون: ٧٨)، وقال تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (النمل: ٧٣)، وقال تعالى: ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا ۗ مَا تَشْكُرُونَ (السجدة: ٩)، وقال تعالى: ...وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ (سبأ: ١٣)، وقال تعالى: قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا ۗ مَا تَشْكُرُونَ (الملك: ٢٣).

٢١. يجب تربية النفوس على القوة والشجاعة والثبات والتكاتف وعدم التنازع، قال تعالى: يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ ذُرِّيَّهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَلُهُ جَهَنَّمُ ۖ وَيَسَّرَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْغَنَاءَ وَمَا يُغْنِيهِمْ اللَّهُ مِن فَتْنَةِ قَاتِلِهِمْ فَتَنَةٌ قَانِتُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأنفال: ٤٥).

٢٢. يجب تربية النفوس على الابتعاد عن الفخر والتكبر على الآخرين، والابتعاد عن الخيلاء في المشي والحركة، قال تعالى: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (الإسراء: ٣٧)، وقال تعالى: وَلَا تَصْعَرَ خَدَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (لقمان: ١٨-١٩).

٢٣. من خصائص النفس الإنسانية العجلة دائما، قال تعالى: وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (الإسراء: ١١).

٢٤. من خصائص النفس الإنسانية أنها قليلة العلم، وأنها لا تستطيع أن تصل إلى العلم الكامل، قال تعالى: فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٣٠)، وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (سبأ: ٣٦).

٢٥. مراحل نمو النفس الإنسانية وقوتها ثلاث مراحل، وهي الطفولة ويتسم فيها الإنسان بالضعف، ثم مرحلة الشباب والرجولة، ويتسم فيها الإنسان بالقوة والحيوية، ثم مرحلة العجز والشيخوخة، ويتسم فيها الإنسان بالضعف، كما بدأ أول حياته، قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً تَخَلُّقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (الروم: ٥٤).

٢٦. النفس الإنسانية لا تحتل الخبير الكثير أو البسط في الرزق، وقد يؤدي ذلك إلى الانحراف عن جادة الحق، وإلى البغي في الأرض، قال تعالى: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (الشورى: ٢٧).

٢٧. إن أكثر النفوس البشرية تكره الحق، قال تعالى: لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ (الزخرف: ٧٨).

٢٨. من وسائل العلاج النفسي للمصائب والنوائب، وما يكسب الإنسان من مغامم أن دعا القرآن الى الإيمان بأن كل ما يصيبنا هو مكتوب لنا قبل أن نخلق وذلك لتخفيف الحزن والفرح والاعتدال فيهما، قال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (الحديد: ٢٢-٢٣)، وقال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (التغابن: ١١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي دعا الناس الى تهذيب النفس وإصلاح شأنها، والصلاة والسلام على رسولنا الصادق الأمين الذي نصح الأمة وعلمها مكارم الأخلاق وبعد:

لقد أولى القرآن الكريم النفس الإنسانية اهتماما كبيرا؛ إذ وضعها في كفة واحدة مع الكون بما فيه من عوالم، فقد قال الله تعالى: سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

أَلْحَقٌ (فصلت: ٥٣)، والنفس تجمع كثيرا من الصفات والخصائص الإنسانية التي تؤثر بشكل ظاهر في السلوك الإنساني، فالنفس تهوى، ولها شهوات، وتشعر بالمشقات، وتصبر أو تضجر، وتجوّد وتبخل وتنشج، وتفرح أو تحزن، وهي تعمل وتكسب أعمال الخير والشر عن وعي كامل، فهي صاحبة إرادة حرة مسؤولة مكلفة، لذلك فالجزاء هو ثمرة المسؤولية وتوفى كل نفس ما

كسبت يوم القيامة، وقد عالج القرآن الكريم بتربيته العظيمة كل خصائص النفس الإنسانية، وكل صفاتها، فهي تربية تهتم باستخدام العقل، وتقوية الجسم، وتزكية النفس، وتطهير القلب في تناسب وتناسق وانسجام بين قوى النفس وعلاقتها بالله سبحانه وتعالى والكون والحياة.

وفي ضوء ذلك فإنه من المهم أن نراعي هذه الخصائص في جوانب حياتنا المختلفة، وأن نتعامل البرامج التربوية، والمناهج الدراسية والأنظمة التعليمية مع النفس البشرية في ضوء الخصائص التي بينها القرآن الكريم .

المراجع

- القرآن الكريم.
- عدس، عبدالرحمن. وتوق، محي الدين. (٢٠٠٣). "مدخل إلى علم النفس". دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان.
- عبدالعال، حسن إبراهيم. (١٩٨٥). مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. دار عالم الكتب. الرياض.
- زريق، معروف. (١٩٨٩). علم النفس الإسلامي. دار المعرفة. دمشق.
- الحيارى، حسن. (١٩٩٤). أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية. دار الأمل. اربد.
- الحيارى، حسن. (١٩٩٣). أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية - إسلامياً وفكرياً. دار الأمل. اربد.
- ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. (١٩٩٤). لسان العرب. المجلد الرابع عشر. دار الفكر. بيروت.
- البستاني، المعلم بطرس. (١٩٦٨). قطر المحيط. مكتبة لبنان.
- مجمع اللغة العربية. (١٩٩٤). الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. المعجم الوسيط. مصر.
- البستاني، محمود. (١٩٩٢). الإسلام وعلم النفس. مجمع البحوث الإسلامية. بيروت.
- العابدين، زين. وتوفيق، عابد. (١٩٩٦). النفس الإنسانية بميزان القرآن الكريم والكتاب المقدس. دار التضامن. بيروت.
- الزين، سميح عاطف. (١٩٩١). علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. مجمع البيان الحديث. دار الكتاب اللبناني. المجلد الأول.

- سابق، السيد. (١٩٧٣). عناصر القوة في الإسلام. دار الكتاب العربي. بيروت.
- الزعبلوي، محمد. (١٩٩٦). تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس. مؤسسة الكتاب الثقافية. الرياض.
- عدس، محمد عبد الرحيم. من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم. مكتبة المنار. الزرقاء. ١٩٨٥.
- النحوي، عدنان رضا. (١٩٩٧). المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية. دار النحوي للنشر والتوزيع. الرياض.
- طبارة، عفيف عبد الفتاح. (١٩٩٦). الخطايا في نظر الإسلام. ط٣. دار العلم للملايين. بيروت.
- كرزون، أنس احمد. (١٩٩٧). أمراض النفس: دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقات تركيبها وعلاج ذلك. ط١. دار ابن حزم. بيروت.
- عيسى، نضال سميح. (١٩٩٧). الطب الوقائي بين العلم والدين. ط١. دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق.